# شارع هائل .. يحاول أن ينسى

## ذكريات الأيام المريرة تحتاج إلى سنوات لتختفي

**.. يفاجأك سائق التاكسي بالاعتذار عندما تطلب منه إيصالك إلى شارع هائل أو يثنيك عن اختيارك بطلب مبلغ كبير من المال مقابل المغامرة في الذهاب إلى قلب العاصمة ، وأحيانا يتدخل بسؤالك إن كان من الضروري أن تقوم بهذه الرحلة؟ تدريجيا بدأ هذا بالتلاشي وأصبح بإمكانك أن تستقل أي نوع من سيارات الأجرة وتختار المدخل المناسب للوصول إلى وسط الشارع الذي كان يوما ساحة لحرب تستهدف كل ما يتحرك مع أن هناك من لا يزالون يتحاشون الاقتراب من هذا المكان خاصة في أوقات محددة من الليل والنهار يكون فيها الشارع مقفرا وتسمع فيه خطوات العابرين الخفيفة كأنهم لا يريدون غير أن يمروا محافظين على حياتهم.**

**استطلاع/صقر الصنيدي**

قبل شهر تقريباً كنت تسمع تراتيل المشاة بأعدادهم القليلة عقب دخول الليل وتحس أن هناك من يتحرك ولا يريدك أن تعرف موقعه في الطريق فلا يشعل غير عينيه كي يبصر أين يضع قدميه في الظلام ، ونادرا ما تجد من يضيء أي نوع من الكشافات الليلة في الشارع الرئيسي ومرد ذلك إلى الأخبار التي سادت الفترة الماضية عن قنص يستهدف أي نور يتحرك في بقعة أريد لها أن تنطفئ ويعشعش فيها الخوف. واعتبر الأهالي الاعتذار ممن يرتطمون به أثناء السير أهون من تحولهم إلى هدف ، وكانت كلمات الأسف تعلو كلما ارتطم سائران في الليل ببعضهم والمضحك أن يكون أحدهما شيئا ثابتا لا يتحرك فيعتقد من يصطدم به أنه إنسان بينما هو جدار أو عمود يقف منذ سنوات وخبأه الظلام والخوف.

يقول أحد ساكني شارع هائل اعتدنا شراء كل احتياجاتنا قبل أن يحل الليل حتى لا نضطر للخروج وفي الغالب كنا نستغني عن أشياء كثيرة قد تكون ضرورية حفاظا على السلامة وخشية اجتياز الشارع الذي اكتسب سمعة رديئة من الناحية الأمنية أثناء المواجهات التي دارت في هذا المكان وحولته إلى ساحة حرب لا ترحم جعلت من جدرانه وأهله أهدافاً مشروعة للقتل بآليات حديثة تتمترس بعيدا وقريبا.

ومع أن هذا الشارع الذي يشكل مصدرا لرزق الآلاف من البائعين بمختلف مهنهم حاول أن يقسم أوقاته العصيبة بين الليل للمتحاربين والنهار للمتسوقين إلا أن هذا النظام لم يحترم وقتل المتسوقين والباعة نهارا حين جربوا التغلب على خوفهم وحذرهم.

المرأة العدنية التي كانت تتسوق مع زوجها القادم من جزر القمر تسقط وهي تحاول أن تبتعد عن ثياب أحد البساطين (بائع متجول) كي لا تمتلئ بدمها الذي يخرج بغزارة إثر طلقة رصاص قادمة من قناص يتمترس آخر الشارع ، وحين رأت أن دمها وقع على جزء من الملابس المرصوفة في الشارع كانت تعتذر (آسفة يابني) ماتت حينها وسط ذهول الأهالي الذين امتنعوا عن السير نهارا في هذا المكان القريب من تقاطع شارع عشرين مع هائل ، واستمر هذا لأيام كأنه حداد على روح تلك الزائرة.

قبلها كان ما حدث لمهندس الساعات جرس إنذار استمر يرن لأيام وتلته مأساة (العم علي) الرجل الأعمى الذي باغته قناص عند الثامنة والنصف صباحا بينما كان ينهض من فراشه على الرصيف ولم يشعر بموته المارة إلا حين رأوا دما على الاسفلت ورجلا يستند جالسا إلى جدار المنزل وقد فارق الحياة دون أي صوت. كل هذه المآسي جعلت من هذا الشارع الحيوي ممرا للهروب وملاذا للرصاص وجعلته الأكثر حذرا فبينما تعود الحياة بصورة أكثر مرونة إلى سواه كان هو الأشد في الدخول إلى الطمأنينة ولا يزال يحاول أن يصدق أن بإمكانه العودة إلى عصوره المزدهرة.

### محاولة العودة

ولأن السلام وتحقيقه أصعب من الحرب وإشعالها فقد استغرقت عودة الحياة فترة أطول وحتى اللحظة ما يزال الحذر والخوف يتربصان بهذا الجزء من العاصمة ، المحلات التجارية بدأت تشجع بعضها للعودة من جديد ونسيان ما جرى وكل يوم تفتح أبواب كانت البارحة مغلقة يتم هذا ببطء وكل يوم يزيد أصحابها من ساعات دوامهم فبعد أن اعتادوا على أن تكون السادسة والسابعة مساء موعدا للإغلاق بدأوا في الاستمرار بالعمل حتى الثامنة والتاسعة والأشجع يتجاوز العاشرة ولا بد أن تساند شجاعته الكهرباء.

كما أن البضائع والسلع التجارية التي هربت يوما بدأت تعود تدريجيا وتزداد الخانات الممتلئة كل يوم وإن كانت الموديلات الحديثة في محلات الملابس غير متوفرة .. يقول عبدالحق السعدي صاحب محل ملابس: إن معظم البضاعة الموجودة تغطي احتياجات الزبائن وإن كانت ذات موديلات ليست حديثة جدا فهو حال التجارة في كل مكان وليس في هذا الشارع فقط فالكثير من المستوردين لم يوردوا الكثير من البضائع لأن القدرة الشرائية متدنية والعرض يغطي الطلب القليل.

ويضيف: إن معظم من لديهم محلات في شارع هائل ذهبوا إلى أماكن أخرى حتى لا تتوقف تجارتهم والبعض بقي في انتظار انتهاء الحرب التي كانت هنا وبدأ يعود إلى عمله.

ويستغرب السعدي وجود بعض المؤجرين يرون أن المحلات مغلقة ثم يأتون ليطالبوا بالإيجارات عن الأشهر المغلقة دون أن يراعوا الظروف التي مررنا بها ومازلنا نعاني منها فقد وصلنا إلى وضع لا نجد فيه أن يدخل محلاتنا زبائن.

## ترميم المباني ليس كل شيء وهناك من يتوقع عودة الخوف

### الأكثر شجاعة

أثناء المواجهات تحلى صاحب إحدى المقاهي (ورزان) الواقعة بالقرب من جولة عشرين بالشجاعة وبقى فاتحا أبوابه وكراسيه وكان العاملون فيها شهودا على الكثير من حالات القتل وتمت محاصرتهم لساعات داخل المقهى ومع ذلك استمروا في مواجهة الخوف وتقديم الشاي لمن يتمكن من الوصول وكان وجودهم يبعث القليل من الأمان لدى المارين والأهالي الذين لم يغادروا مساكنهم وفي ليالي كثيرة كانت الأنوار الوحيدة في الشارع قادمة من ذلك المقهى الذي ترك صاحبه الحرية للعاملين أن يبقوا أو يغادروا فظلوا يزاولون عملهم محاولين التغلب على صوت الانفجارات بهدوئهم وإيمانهم.

### بدء الترميمات

يشهد شارع هائل هذه الأيام ترميمات لإزالة التشوهات التي أصابت وجه عمائرها خاصة تلك المسماة باسم الشارع (عمائر هائل) والتي نالها النصيب الأكبر من القذائف، وحالياً تحاول طمس آثار جراحاتها التي جعلتها مختلفة تماما عما كانت عليه وقد حالف الحظ ساكنيها فلم يصب أحدهم بأذى رغم كثافة ما عانوه من استهداف بمختلف الأسلحة، وها هم يحزمون أمتعتهم ليعودوا إلى المكان الذي حوصروا فيه لأيام قبل أن ينفذوا إلى أماكن اعتبروها آمنة ، كل شيء هنا يوحي بأن السلام قد حل في شارع لم يعتقد أحد أن تطلق الرصاص فيه.